الدال على أحدهما دالا على الآخر ، والضدان متنافيان [١].

وبما أن الدلالة على المعنى تارة تكون وضعية ، وتارة تكون عقلية معنوية وأن المعنوية ليست دلالة نفس الصيغة على معناها ، بل دلالة معناها على معنى آخر – فإن الكناية والمجاز والاستعارة إنما تختص بالقسم الثاني فحسب .

فعندما نقول : فلان كثير الرَّماد ، لم يكن ذلك دالا على المضيافية دلالة وضعية ، بل دلالة معنوية ، حيث إن كثرة الرماد المشعرة بإحراق الحطب الكثير تحت القدور لها إشعار بالضيافة ، وهذه هي الكناية ، وإذا قلنا : رأيت أسدًا ، كان الغرض جعل الرجل مساويًا للأسد في بطشه وقوَّته ، والسامع لا يعقل ذلك من لفظ الأسد ، بل من معناه ، وهذه هي الاستعارة . وإذا قلنا لمن يتردد في أمره إنه يقدِّم رِجْلاً ويؤخِّر أخرى ، لم يفد ذلك إلا لأنه إذا عرف أنه لما لم يكن المقصود ما ينبئ عنه الظاهر قد أريد به أنه في تردده كالذي قام في أمر ، فتارة يريد الذهاب ، فيقدِّم رِجلا تارة ، ولا يريد ، فيؤخِّر أخرى ، وهذا هو التمثيل [٢] .

وإثارة قضية الدلالة في مباحث البيان اقتضت التطرُّق إلى التشبيه ؛ لأنه ما دامت الصورُ البيانية لا ترتبط بجميع الدلالات – غالبًا – بل تقتصر على الدلالة العقلية – كما يقول السكاكي – فكيف يعدّ التشبيه فيها وهو لا يكون إلا بالدلالات الوضعية ؟ ويجيب عن ذلك ابن الأثير بأن المجاز ما هو إلا نوع من التوسُّع في اللغة ، وهذا التوسُّع يتحقق في التشبيه ، وإن كان

(١) العلوي : الطراز ، ج ١ ، ص ٣٩ .
(٢) الرازي : نهاية الإيجاز ، ص ١٨ .